

التفسير المطول - سورة الزمر 039 - الدرس 12-20: تفسير الآيات 32-35،
أسعد الناس من صدق بالحق وأشقى الناس من كذب بهذا الحق.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 9-04-1993

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين،
اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا
وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن
يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

ليس في الأرض كلها إنساناً أشدّ ظلماً من إنسان كذب على الله:

أيها الأخوة الأكارم؛ مع الدرس الثاني عشر من سورة الزمر، ومع الآية السادسة
والثلاثين.

يقول الله عز وجل:

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ
(36) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ (37)

سورة الزمر

الحقيقة هذه الآية تدور حول معنى التوحيد، وكلكم يعلم أن نهاية العلم التوحيد، وأن
الدين كله توحيد، وأنه لن تقطف من ثمار الدين شيئاً إلا إذا وحدت، إنك إن رأيت أن مع الله إلهاً
آخر، الطريق إلى الله ليست سالكة، مسدودة، لذلك كما قالوا: ما تعلمت العبيد بأفضل من
التوحيد، والآية التي قبل هذه الآية:

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى
لِلْكَافِرِينَ (32)

سورة الزمر

قلت لكم سابقاً: إن كلمة أظلم اسم تفضيل، أي ليس في الأرض كلها، ليس في
بني البشر كلهم إنسان أشدّ ظلماً من هذا الذي كذب على الله، دعا إلى الله، وكذب عليه، وقال

عنه بغير علم، أو قال عنه صفاتٍ لا تليق به تحقيقاً لمصالحه الماديّة، الإنسان أحياناً يتكلم بلا علم، وأحياناً يعلم ويتكلم بخلاف ما يعلم، فرقٌ دقيق بين أن تقول ما لا تعلم، وبين أن تقول بخلاف ما تعلم، الأول جهل، أما الثاني فخطأ كبير جداً، أن تقول وأنت لا تعلم معنى ذلك أنك لا تعلم، أما أن تقول بخلاف ما تعلم معنى ذلك أنك تريد إضلال الناس، فليس في الأرض كلّها إنسانٌ أشدّ ظلماً وأفدح خسارةً من إنسانٍ تكلم عن الله بخلاف ما يعلم جرّاً لمصلحة، أو دفعاً لإساءة، أو تحقيقاً لمكسب، شيءٌ خطير أن تلعب بدين الله، أن تلعب به من أجل مصالحك، أن تُغيّر الحقائق من أجل مكاسب دنيويّة زائلة، أن تجعل هذا الدين العظيم في الوحول من أجل مصالح ماديّة، أن تقول كلاماً يُرضي الأقوياء ولا يرضي الله، أن توهم الناس أن الحق هكذا، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ هناك متكلم، وهناك مُستمع، أشدّ المتكلمين ظلماً لنفسه، أشدّ المتكلمين خسارةً، أشدّ المتكلمين عذاباً، من تكلم إما بجهل أو بخلاف ما يعلم، والثاني أشدّ إثماً، لذلك الإمام الغزالي يقول: "العوام لأن يرتكبوا الكبائر أهون من أن يقولوا على الله بغير علم".

أشدّ المتكلمين ظلماً وخسارةً من تكلم على الله بغير علم:

أنت حينما تلقي على الناس كلاماً غير صحيح، تبتُّ فيهم عقائد زائغة، توهمهم بأشياء غير واقعيّة، بخلاف القرآن الكريم، بخلاف السنّة، أنت أفسدت عقول الناس، أفسدت بنيتهم النفسيّة، أفسدت دينهم، من هنا قيل: "ابن عمر دينك دينك إنه لحمك ودمك، خذ الدين عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين قالوا". إن هذا العلم دين فلينظر أحدكم ممن يأخذه، إذا: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ هناك متكلم وهناك مستمع، أشدّ المتكلمين ظلماً، أشدهم خسارةً، أشدهم عذاباً، من تكلم على الله بغير علم، أو تكلم على الله بخلاف ما يعلم، هذا ضال مضل، الأول ضال والثاني مُضل، فاسد مفسد، لأن الإنسان الذي يستمع من الذي يبيّنه؟ المتكلم بيني نفسه، فلو أوهمه أن أمّة محمد صلى الله عليه وسلّم أمّة مرحومة، وافعل ما شئت، النبي عليه الصلاة والسلام سوف يشفع لكم جميعاً، أي دافع بقي عند الناس ليستقيموا؟ أي دافع؟ أي دافع بقي عند الناس ليكونوا أعفّة؟ ليكونوا منزّهين عن الغلظ؟ انتهى، وقع الناس في الحرام، واعتدوا على بعضهم بعضاً، وأكلوا أموالهم بينهم بالباطل، واعتدوا على أعراض بعضهم، كلهم يتأمل شفاعة النبي يوم القيامة، فهذا الذي بتّ هذه الفكرة ماذا فعل؟

الضالُّون المضلون يتكلمون على الله بخلاف ما يعلمون:

هذا الذي يقول لك: إن الله كتب على الإنسان الكفر، فإذا جاء إلى الدنيا أجبره على المعاصي، فعصى تحقيقاً لمشيئة الله، وبعد أن ينتهي أجله يدخل جهنم إلى أبد الأبد، هكذا شاءت مشيئة الله عز وجل، أي شيء أبقيته في نفوس المستمعين من حُبِّ الله عز وجل ومن تعظيمٍ لكمالاته؟ أين اسم العدل؟ أين؟

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7)

سورة الزلزلة

أين:

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)

سورة الزلزلة

أين:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (77)

سورة النساء

أين فتيلاً؟ أين نقيراً؟ والقطير.

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (47)

سورة الأنبياء

العوام لئن يرتكبوا الكبائر أهون من أن يقولوا على الله بغير علم، والضلُّون المضلون يتكلمون على الله بخلاف ما يعلمون.

الله جلَّ جلاله انتقى من صفات الذين يبلغون رسالاته صفةً واحدةً هي الخشية:

من هنا ربنا جلَّ جلاله قال:

الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (39)

سورة الأحزاب

انتقى ربنا جلَّ جلاله من صفات هؤلاء الذين يبلغون رسالات الله صفةً واحدةً، أنهم يخشونه، فلو أنهم خشوا غير الله لتكلموا بالباطل إرضاءً لهؤلاء الأقوياء، ولسكتوا عن الحق خوفاً

منهم، فإذا تكلم الداعية بالباطل وسكت عن الحق ماذا بقي من دعوته؟ انتهت، لذلك هذا الوصف مترابط مع الموصوف ترابطاً وجودياً، فلو ألغي الوصف ألغي الموصوف: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ استنهام إنكاري، ليس في الأرض إنساناً أشد ظلاماً، ولا أفدح خسارةً، ولا أكثر عذاباً، من إنسان تكلم على الله بغير علم، قل: لا أدري، الإمام أحمد بن حنبل من أقطاب العلماء في عصره، من المجتهدين الأبرع، جاءه وفد من المغرب العربي ويبدو أنهم قطعوا شهرين في الطريق، جاؤوه بسبعة وثلاثين سؤالاً فيما أذكر، أجاب عن سبعة عشر سؤالاً وقال: الباقي لا أعلم، استغربوا هذا الكلام لا يُعقل، الإمام أحمد بن حنبل لا يعلم، كيف؟ فقال لهم: "قولوا للإمام أحمد لا يعلم"، أمانة، هذه أمانة التبليغ، أمانة التبيين، إن لم تكن واثقاً من أن هذه الآية تُغطي هذا الجواب، وهذا الحديث الصحيح يدعم هذا الجواب، كيف تقول على الله ما لا تعلم؟ أو كيف تقول على الله بخلاف ما تعلم؟ الأول ضالّ الثاني مُضِل، الأول فاسد الثاني مُفسد، دائماً الله يقول:

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43)

سورة النحل

اسأل يا أخي:

الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (59)

سورة الفرقان

كُن جباناً في الإجابة، نصف العلم لا أدري، ارفع رأسك وقل: لا أدري يا أخي، أمهلني، أنظرنني، دعني أتريث، دعني أفكر، دعني أتأمل، دعني أراجع، دعني أسأل، قبل أن تقول على الله ما لا تعلم، قبل أن تفسد بناء الإنسان، قبل أن تفسد عقيدته، قبل أن تفسد تصوّره عن الله عزّ وجل.

أسعد الناس من تعامل مع القرآن تعاملًا جدياً على أنه كلام رب العالمين:

لذلك: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ وشخص آخر ليس أقلّ من الأول، الثاني: ﴿وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ جاءه الحق من خلال القرآن، القرآن كلام الله، سمّاه الله الصدق لأنه مطابق للواقع، لأنه من لدن حكيم خبير، لأنه من عند خالق الكون، لأنه كلام رب العالمين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هذا الصدق كذب به، قرآن كريم فيه إعجاز، ابحت عن إعجازه، ابحت في نظمه، ابحت في إعجازه العلمي، في إعجازه الإخباري التاريخي، في إعجازه

البياني، في إعجازه التربوي، ابحت في إعجاز القرآن، لو أن الناس جميعاً اجتمعوا على أن يأتوا بسورة من هذا الكتاب لا يستطيعون، تحدّاهم ربنا جلّ جلاله:

قُلْ لئنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)

سورة الإسراء

إذاً هذا صدق، من أسعد الناس من تعامل مع هذا الكتاب تعاملًا جدياً على أنه كلام رب العالمين، لكن هناك أشخاصاً كثيرين يتعاملون معه تعاملًا لا أقول غير جدي، تعاملًا بعيداً عن الواقعية، بعيداً عن أن يأخذ الأمر مأخذاً جدياً، فالقرآن فيه تهديد، وفيه وعيد، وفيه بشارة، وفيه أمر، وفيه نهي، يفعل ما يحلو له بخلاف أمر القرآن، أي أمره أن يفعل كذا فعل بخلاف كذا ولا يبالي، هذا أحد أنواع التكذيب الفعلي لكتاب الله عزّ وجل.

المتكلم له حساب خاص والمستمع له حساب خاص:

أنت بين أن تكون متكلماً أو مستمعاً، أحد حالتين؛ متكلم أو مستمع، المتكلم إذا تكلم بغير علم أو بخلاف ما يعلم فالويل له، والمستمع إذا كذب بالقرآن الكريم وهو كلام الله، قطعي الثبوت، أو كذب بالسنة الصحيحة التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم فالويل له أيضاً، فالويل للمتكلم بغير علم أو بخلاف ما يعلم، والويل للمستمع إذا كذب بالحق لما جاءه، فلذلك المتكلم له حساب، والمستمع له حساب، المتكلم مهما أبان، وأفصح، وأجاد، وتشدق بالألفاظ، وألقى كلاماً ساحراً، واستخدم اللغة والبيان والبلاغة، مهما تكن عبارته طليئة، وجملته متينة، وأمثله صارخة، له حساب عند الله خاص، حسابه هل أنت في مستوى ما تقول؟

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (44)

سورة البقرة

المتكلم له حساب، يحاسبه الله عن مدى تطابق كلامه مع سلوكه، والمستمع له حساب خاص، جاءك بآية ولا تبالي بها!! جاءك بحديث صحيح عن رسول الله ولا تبالي به!! أعطاك حكم الشرع في هذا الموضوع ولم تعبأ به، فعلت ما يحلو لك! أي كأنك كذبت.

أنواع التكذيب:

والتكذيب كما تعلمون نوعان: تكذيبٌ قولي أن تقول له: هذا كذب، هذا لا يفعله أحد في العالم الإسلامي، لا يجروا إنسان أن يقول: هذه الآية غلط، ولكن حينما لا يطبق، وحينما لا يبالي، وحينما يتخذ القرآن مهجوراً، وحينما لا يعبأ بحكم الله عز وجل، هذا كأنه كذب بالصدق إذا جاءه، المؤمن:

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (36)

سورة الأحزاب

حرام حرام انتهى الأمر، يا أيها الذين آمنوا، يخاطب المؤمن لأنه آمن بالله وهذا أمر الله، المؤمن له أن يبحث عن حكمة الأمر، لا مانع، هذا من حقه، لكن أن يُعَلِّق التطبيق على معرفة الحكمة فليس عبداً لله عز وجل، هذا الذي لا يطبق إلا إذا فهم الحكمة، هذا ليس عبداً لله، لن تكون عبداً لله إلا إذا جاءك أمر الله عز وجل فقلت: سمعاً وطاعةً يا رب، وحينما تندفع لتطبيق الأمر قبل معرفة حكمته يكافئك الله جل جلاله بأن يلقي في قلبك حكمة هذا الأمر بعد تطبيقه، عندئذٍ تصبح عالماً، فالذي يعلّق تطبيق الأمر على معرفة الحكمة هذا ليس عبداً لله عز وجل، حرام حرام انتهى الأمر.

المؤمن حينما عرف الله وعرف أمره ونهيه صار اختياره وفق مراد الله عز وجل:

هم المؤمن الأوحد أن يبحث عن أمر الله، فإذا وجده طبّقه وانتهى الأمر، أما إذا أراد أن يدعو إلى الله عز وجل ويبحث عن حكمة الأمر والنهي ليقنع الناس فهذا شيء طيب، عمل طيب، أما المؤمن فيكفيه علة لأي أمرٍ أنه أمر، فأنت في الخدمة الإلزامية مع إنسان عريف يقول لك: نفذ ولا تناقش، فكيف مع خالق السماوات والأرض؟ كيف مع مُبدع الكون؟ كيف مع العليم الحكيم؟ الرحمن الرحيم؟ مع العذّل؟ مع التواب؟ مع اللطيف؟ مع المهيم؟ مع القدير؟ مع الغني؟ أتناقشه في أوامره؟ إذا بحثت عن الحكمة لا مانع؛ أما هذا الذي لا يطبق إلا إذا عرف الحكمة، لست عبداً لله عز وجل، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ أنت تختار بين هذا العمل وهذا العمل، بين أن تسافر إلى هذه البلدة أو هذه البلدة، هذا هو الاختيار، أما تختار أن تعصي أو ألا تعصي فهذا الخيار ليس للمؤمنين هذا لغير المؤمنين، المؤمن حينما عرف الله عز وجل وعرف أمره ونهيه انتهى اختياره، صار اختياره وفق مراد الله عز وجل. عن عبد الله بن عمرو:

لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به.

والحديث في إسناده ضعف: صححه جماعة، وضعفه آخرون: معارج القبول: خلاصة حكم المحدث صحيح: أخرجه ابن أبي عاصم في ((السنة)) (15)، والخطيب في ((تاريخ بغداد)) (368/4) واللفظ لهما تحبُّ الذي أحبَّه الله، تكره الذي أبغضه الله، توالي في الله، تعادي في الله، تُعطي لله، تمنع لله، تغضب لله، ترضى لله، هذا هو التوحيد، هذا هو الإيمان.

على الإنسان أن يفكر جيداً قبل أن يعصي الله عز وجل:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ استفهام إنكاري، أي ليس في الأرض كلها إنساناً أشدُّ ظلاماً، ولا أفدح خسارةً، ولا أشد عذاباً، ممن تكلم على الله بغير علمٍ أو بخلاف ما يعلم، الأول ضال والثاني مُضل، والظالم الثاني هو الذي كذَّب بالحق إذا جاءه، والتهديد: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ العقاب أليم جداً، والثلث فادح، والخَطْبُ جَلٌّ، فقبل أن تعصي فكر كثيراً، الإمام الغزالي رحمه الله تعالى خاطب نفسه مرّة فقال: "يا نفس لو أن طبيباً نهاك عن أكلةٍ تحببها لاشكَّ أنك تمتنعين عنها، يا نفس أياكون الطبيب أصدق عندك من الله؟" طبيب قال لك: هذه الأكلة لا تتناسبك، هذا البيت عال لا يناسب قلبك، في اليوم الثاني تعرضه للبيع، فالموضوع ليس معه لعب، قلب، فطبيب نصحك بأن تباع هذا البيت العالي، أو أن تمتنع عن هذه الأكلة التي تؤذي شرايينك، لماذا أنت تستجيب؟ حفاظاً على صحَّتِكَ وتصديقاً لكلام الطبيب "أياكون الطبيب أصدق عندك من الله يا نفس إذا ما أكفرك! أياكون وعيد الله عزَّ وجل أشدَّ عندك من وعيد الطبيب؟ إذا ما أجهلك!"، فالإنسان حينما يعصي يُذمَّغ حتماً إما بالكفر وإما بالجهل، إما كافر ما عرف أحقيَّة هذا الأمر الإلهي، أو جاهل بما ينتظره من عذابٍ أليم في جهنم وبئس المصير، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ النتيجة إلى جهنم، هذا الذي كذَّب على الله، وذاك الذي كذَّب بالصدق، المُتَكَلِّم والمستمع، الثمن الباهظ عذابٌ أبدي في جهنم وبئس المصير.

المقارنة بين الصحابة الكرام ومصير هؤلاء الذين كذبوا النبي وعارضوه:

الآن:

وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (33)

سورة الزمر

سيدنا الصديق صدِّق، الصحابة الكرام صدَّقوا، الآن انظر في مصير هؤلاء الذين كذَّبوا، وعارضوا، وأخرجوا النبيَّ من مكَّة، واثتمروا على قتله، ونكَّلوا بأصحابه، كيف أنهم ماتوا شرًّا ميتة، وكيف أنهم في مزبلة التاريخ؛ وانظر إلى أصحاب النبي رضوان الله عليهم حينما صدَّقوا، وحينما جاهدوا، وحينما صبروا، وحينما صابروا، وحينما رابطوا، وحينما أحبوا النبي، وحينما قدَّموا له الغالي والرخيص، والنفس والنفيس، انظر إلى ألفٍ وخمسمئة عام بعد وفاتهم أو استشهادهم، كيف أن المجالس كلها تتعطر بذكورهم، هل يفتر سيدنا الصديق، وسيدنا عمر، وسيدنا عثمان، وسيدنا علي، وسيدنا عمر بن عبد العزيز، وسيدنا صلاح الدين، هؤلاء الأبطال العظام، هل يفتر اللسان عن نكرهم في أي مكان في العالم الإسلامي؟

من سعادة الإنسان أن يستجيب للحق:

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾، النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ هذه الآية لها معنيان: إما أن النبي جاء بالصدق وصدَّق به، أو أن النبي جاء بالصدق والذي صدَّق به من أصحابه، قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ هنيئاً لهم، اتقوا عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، نجوا من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، سلِّموا في الدنيا والآخرة، سعِدوا في الدنيا والآخرة، ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ فأنت من سعادتك أن تستجيب للحق.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24)

سورة الأنفال

دعوة لحياة القلوب.

المؤمن شخصيَّة فذَّة عرف الحقيقة الكبرى:

وازن أنت بين مؤمن وغير مؤمن، القضية صارخة، صارخة جداً، وازن بين دراجة مثلاً وبين سيارة من أحدث موديل، هل يستويان؟ لا، ليست هناك أي نسبة، وازن بين حياة المؤمن المستقرَّة، حياة المؤمن المطمئنة، الذي يلقي الله على قلبه السكينة، موفِّق في أعماله، هدفه كبير، هدفه أكبر من حاجاته، مطامحه أثن من رغباته، يحكم نفسه ولا تحكمه، يقود هواه ولا ينقاد له، تحكمه القيم ويحتكم إليها من دون أن يسخرها أو يسخر منها، هذا المؤمن،

شخصية فذة عرف الحقيقة الكبرى، عرف الله، يتحرك وفق منهج، يوجد بحياته حلال وحرام، ومباح، ومكروه، ومندوب، يمشي على هدى.

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ (108)

سورة يوسف

انظر إلى حياة المؤمن، انظر إلى أخلاقه العالية، انظر لصدق وعده، انظر إلى أمانته، إلى صدقه، إلى غَيْرَتِهِ، إلى عَفَّتِهِ، إلى استقامته، إلى إنصافه، انظر إلى ورعه، انظر إلى دَقَّتِهِ في التعامل، هذه صفات المؤمنين، هذه صبغة الله التي صبغ بها عباده المؤمنين، لذلك المؤمنون في شتى بقاع الأرض يلتقون، لأن الصفات واحدة، تصوّروا أطباء القلب في العالم يلتقون على معلومات واحدة، كذلك المؤمنون يلتقون على حقائق واحدة، على قيم واحدة، على أهداف واحدة، على وسائل واحدة، الحقائق التي آمنوا بها واحدة، والأهداف التي يسعون إليها واحدة، والوسائل التي يسلكونها واحدة، والقيم التي تحكمهم واحدة، والأخلاق التي يتحلون بها واحدة، لذلك الإيمان عامل جمّع وليس عامل تفريق، رَبِّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ، وشيء عجيب قد تلتقي مع مسلم في أقصى الدنيا، تشعر وكأنه أخوك النسبي، يا ربي ما هذا الشعور؟ من بلد بعيد بعيد لا يجمعني به شيء، كفى بالإسلام جامعاً كما.

المؤمنون بعضهم لبعض نصحة متوادون والمنافقون بعضهم لبعض غششة متحاسدون

المؤمنون بعضهم لبعض نصحة متوادون ولو ابتعدت منازلهم، والمنافقون بعضهم لبعض غششة متحاسدون ولو اقتربت منازلهم، حياة المؤمنين حياة سعيدة جداً، أنت تعيش بين أحباب، بين أناس أوفياء، بين أناس مخلصين، بين أناس متناصحين، بين أناس متسامحين، بين أناس متحابين، يكفينا سعادة في الدنيا أننا نعيش مع أخوتنا المؤمنين في راحة، لو انطلقت إلى أخٍ لك في حرفة من الحرف تكون مطمئناً، لن يكذب عليك، ولن يغشك، ولن يدّلس، ولن يأخذ فوق حقّه، ولن يخونك، مطمئن، لذلك النبي قال: عن أبي سعيد الخدري:

لَا نَصَابِحَ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلُنَّ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا.

أبو داود والترمذي: حديث حسن

لا مفاجآت في حياتك ولا غدر إذا صاحبت مؤمناً، دقق في أحوال أهل الدنيا تجد أنهم يتلقون ضربات قاصمة من أصدقائهم لأنهم غير مؤمنين، حينما يتراءى للصديق أن مصلحته بتحطيم صديقه يحطمه، أما المؤمن فوفي، لذلك قال الله تعالى:

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ غَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31)

سورة النور

معنى جميعاً أي لن تذوقوا طعم الإيمان، لن تقطفوا ثماره إلا إذا كنتم جميعاً مؤمنين، إذا عمَّ الإيمان فهذا شيء مريح جداً، ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾، هو النبي عليه الصلاة والسلام ﴿وَوَصَّكَ بِهِ﴾ إما أنه النبي نفسه جاء بالصدق وصدق به أو الصديق عليه رضوان الله أو كل صاحب من أصحاب النبي عليهم رضوان الله، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ هؤلاء هم المتقون، وإن الله مع المتقين، والمتقون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون، كلمة تقوى أي اتقى أن يعصيه، اتقى عقابه، اتقى شقاء الدنيا، الله عزَّ وجل قال:

فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلَ حَتَّىٰ مَمَاتٍ أَوْ فَارِقَهُنَّ فَارِقُهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا نَدْوَىٰ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2)

سورة الطلاق

من عظمة القرآن الكريم أن كل آية فيه لها معنى في السياق:

من عظمة القرآن الكريم أن كل آية فيه لها معنى في السياق، فإذا نزعناها من السياق لها معنى آخر، فهذه الآية وردت في سورة الطلاق، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ من يتق الله في تطليق زوجته، لم يطلِّقها بالثلاثة مرة واحدة، طليقة واحدة، طلقها في طهر لم يمسه فيها، ما طلقها في حيض، ما طلقها لقضية لا علاقة لها بها، طلقها وفق السنة، لم يكن طلاقه بدعيًّا بل كان سنياً؛ طلقها بتليقة واحدة، طلقها في طهر ما مسها فيه، طلقها لموضوع لها علاقة به، هذا الطلاق إذا كان سُنيًّا يجعل الله لصاحبه مخرجاً لأن يعيدها إذا ندم على طلاقه، أما إذا طلقها طلاقاً بدعيًّا سُدَّ عليه طريق أن تعود إليه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ انزعها من سياقها، من يتق الله في اختيار زوجته يجعل الله له مخرجاً من الشقاء الزوجي، لأنه من تزوج المرأة لجمالها أدله الله، من تزوجها لمالها أقره الله، من تزوجها لنسبها زاده الله دناءة، فعليك بذات الدين، من اتق الله في اختيار زوجته جعل الله له مخرجاً من الشقاء

الزوجي، من اتق الله في تربية أولاده؛ علمهم، وهذبهم، وأرشدهم، وبيّن لهم، وأمرهم بالصلاة، واصطبر عليهم، ونشأهم تنشئةً راقية، جعل الله له مخرجاً من عقوق الأولاد، وهو شيء مزعج جداً، من اتق الله في كسب المال جعل الله له مخرجاً من إتلاف المال؛ الحرائق، والمصادرات، وتدمير المال، والغرق، والحريق، من اتق الله في كسب المال جعل الله له مخرجاً من إتلاف المال، هذه الآية يُكْتَب عليها مجلّدات: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

الدنيا أساسها الكدح والآخرة أساسها الإكرام:

هؤلاء الذين جاؤوا بالصدق وصدّقوا به: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ اتقوا عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، اتقوا شقاء الدنيا وشقاء الآخرة، اتقوا أن يعصوا الله فاتقوا عذابه وعقابه، هؤلاء ما جزأؤهم في الآخرة؟ الأوائل: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾، الفريق الآخر المؤمن: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ شيء عظيم، آية على إيجازها عظيمة جداً، الدار الآخرة - الجنة - مبنية على مبدأ، أي شيء يخطر في بالك تجده أمامك، هذه الجنة، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾ أما في الدنيا فيخطر في بالك مليون شيء ولا يتحقّق، العين بصيرة واليد قصيرة، الدنيا مبنية على الكدح، الجهد.

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (6)

سورة الانشقاق

مبنية على الجهد، مبنية على التعب، مبنية على النَّصَبِ.

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (4)

سورة البلد

طبيعة الحياة الدنيا هي تكبُّد المشاق، الإنسان لا يصل لبيت صغير، مساحته ستون متراً، وفيه بعض قطع الأثاث، ودخل يغطي نفقات خمسة أيام بالشهر، حتى يعاني الأمرين - كما يقولون -.

الآخرة مبنية على الطلّب والدنيا مبنية على بذل الجهد:

الحياة مبنية على بذل الجهد، أما الآخرة: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ اطلب تُعْطَ

يا عبيدي.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15) أَخَذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16)

سورة الذاريات

(التفسير المطول - سورة الزمر 039 - الدرس 12-20: تفسير الآيات 32-35، أسعد الناس من صدّق بالحقّ وأشقى الناس من كذّب بهذا الحق)

دفع ثمنها، الطبيب يعمل لك تخطيطاً بخمسمئة، وإيكو بثمانمئة، وهناك خمسون زبون يقفون بالصالة، ودخله في اليوم كذا عشرة آلاف، كذا مئة ألف، هل يستطيع أن يعمل هذا أحد غيره، دفع ثمنها؛ ثلاث وثلاثون سنة دراسة، وكل يوم للساعة الواحدة ليلاً، ومطالعة، وتقديم أطروحات، وتدريب عملي، عندما يتعب الإنسان كثيراً في دراسته يصل إلى مركز مرموق، ودخل كبير، وجهد قليل، هل من حق الجاهل أن يقول: أنا مثله؟ لا، أنت لست مثله، هو دافع ثمنها، كل من يدفع يجد، هذه في الدنيا فكيف بالآخرة؟! في دنيانا تجد أعمالاً مرهقة، ثماني ساعات عمل على مئة وخمسين ليرة، يقول لك: فاعل، العمل كله شريف، أما الذي درس ثلاثاً وثلاثين سنة صار عنده مئة زبون في اليوم، وكل زبون يريد خمسين تحليلاً وتصويراً وأجهزة كلها، تجد أشخاصاً يحسبون دخله يقولون لك: غير معقول هذا الدخل، لكن هو دافع ثمنها، عندما كان يدرس أين كنت أنت؟ كنت تلعب، هذا في الدنيا، أنا أحضرت أمثلة من الدنيا، في الآخرة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾.

من قَضَى عمره بخدمة الخلق وبنصحهم وإرشادهم استحق جنة الله عز وجل:

لكن: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ قَضَى كل عمره بخدمة الخلق، قضى كل حياته بالنصح، والإرشاد، وبذل المال، وبذل الوقت والخبرة، والنصح للمسلمين، ليله نهار، ونهاره ليل، يا رب لا يحلو الليل إلا بمناجاتك، ولا يطيب النهار إلا بخدمة عبادك:

أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (18)

سورة السجدة

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ دفعوا ثمنها، فالآخرة إذاً مبنية على الطلب، الدنيا مبنية على بذل الجهد، على الكدح، على النصب، على التعب، أما الآخرة فمبنية على الطلب.

الإحسان هو إتقان العمل والصدق والنصيحة:

تحضرني الآن صورة شخص كان جارنا في البيت، ولكن لم يكن يصلي، كان ضد الدين، أين هو الآن؟

إِنِّي كَأَنَّ لِي قَرِينٌ (51)

(التفسير المطول - سورة الزمر 039 - الدرس 12-20: تفسير الآيات 32-35، أسعد الناس من صدَّق بالحق وأشقى الناس من كذَّب بهذا الحق)

فَاطَّلَعَ فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (55)

على خاطر، أي خاطرٍ يخطر على بالك تراه أمامك، هذه الآخرة، هذه الآخرة يُزهد بها؟! امرأة طلبت من زوجها الصحابي طلبات لم تكن مألوفة وقتها، قال لها: "يا فلانة إنَّ في الجنَّة من الحور العين ما لو أطلت إحداهنَّ على الأرض لغلِب نور وجهها ضوء الشمس والقمر، فلأن أضحى بك من أجلهن أهون من أن أضحى بهنَّ من أجلك". هذه واضحة مثل الشمس، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءَ الْمُحْسِنِينَ﴾ كن محسناً أيها الأخ، كلمة محسن مطلقة؛ أحسن في عملك، انصح المسلمين، ترأف بهم، ارحمهم. إذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي، أتقن عملك، الإحسان يعني إتقان العمل، الإحسان يعني الصدق، الإحسان يعني النصيحة، انصح المسلمين، الإحسان يعني أن تربي أولادك، الإحسان يعني أن تعتني بمن حولك، الإحسان يعني أن يكون لك عمل طيب، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾.

من كرم الله عزَّ وجل أنه يُنسي التائب عمله السيئ في الآخرة:

ذَلِكَ جِزَاءَ الْمُحْسِنِينَ (34) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (35)

كذلك ربنا رحيم، الذي له جاهليَّة هذه تطوى وكأنها لم تكن، في الدنيا يذكرها، فإذا نكرها تمرقت نفسه، الذي له جاهليَّة قبل التوبة، له انحرافات، له تجاوزات، له مخالقات، له معاصٍ، هذه إذا نكرها في الدنيا تمرقت نفسه، وذابت نفسه ندماً، ومن علامة الإيمان أنه يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُلقى في النار، هذه علامة الإيمان، يندم أشدَّ الندم على عمرٍ أمضاه في معصية الله.

يقول لي أحد الأخوة الأكارم: أنا ولدت من جديد، لم أكن أعرف هذه السعادة إلا بعد أن تعرّفت إلى الله، ولدت من جديد، ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أي كل أعماله السيئة السابقة، حتّى أشدّها سوءاً هذه تُكفَّر عنه، ولا يذكرها الإنسان يوم القيامة، ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الإنسان أحياناً يكون له عمل طيب، وعمل سيئ، من كرم الله عزَّ وجل، طبعاً العمل السيئ ليس مع الطيب، قبل التوبة، حتى لا يتوهم الإنسان فعل هكذا وهكذا فعل، ساعة لك وساعة لربك، هذه فكرة مرفوضة في الدين كلياً:

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا
وَأُبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)

سورة فصلت

لكن إذا كان له جاهليّة، في الجاهليّة كان له عمل سيئ، وبعدهما تاب إلى الله واصطلح معه صار له عمل طيّب، فكرم الله يعني أن عمله السيئ يكفره عنه، ينسيه إيّاه، يمحوه ولا يذكره، وأن عمله الطيّب يجازيه عنه بأعظم الجزاء، الإنسان قد يتصدّق بلقمة يراها يوم القيامة كجبل أحد.

العطاء هو الذي يبقى لا الذي يفنى وعطاء الله عطاء أبدي:

لذلك يجب أن تعلموا أيها الأخوة علم اليقين أن كلمة غني في قاموس الإيمان تعني من أكرمه الله بالأعمال الصالحة، تعني من أجرى الله على يديه الخير، هذا هو الغني، لأن مال الدنيا يبقى في الدنيا، وكل هذه الأموال المنقولة وغير المنقولة مرتبطة بنبض القلب، فإذا توقّف القلب كل هذه الأموال ليست له، ولا ساعته، ولا سنّه الذهبي، ينزعونه، يقولون لك: الحي أولى، لا تملك شيئاً، ولا خزانتك الخاصة، لك مكتبة خاصّة، لك زاوية خاصّة، الألبسة الخاصّة، الأدوات الخاصّة، كل شيء يؤخذ منك، إذاً ليس هذا هو العطاء، العطاء هو الذي يبقى لا الذي يفنى، إذاً العمل السيئ قبل التوبة من كرم الله عزّ وجل أن الله يكفره، والعمل الطيّب بعد التوبة يعطيك الله عنه أعظم الجزاء، والأمر واضح وضوح الشمس، وماذا علينا إلا أن ننطلق إلى الله عزّ وجل، ففروا إلى الله، انطلق.

حَتَامُهُ مِثْلُكَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26)

سورة المطففين

لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (61)

سورة الصافات

قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (58)

سورة يونس

افرح بعطاء الله عزّ وجل، افرح بمعرفة الله، افرح بمجلس علمٍ تحضره، افرح بآية تفهمها، افرح بعملٍ صالحٍ يجريه الله على يديك، افرح بشيءٍ تدخره لنفسك بعد الموت.

الفقر فقر الأعمال الصالحة:

بين أن يموت الإنسان فقيراً ليس له أعمال أبداً، لذلك الفقر فقر الأعمال، سيدنا موسى ماذا فعل؟ حينما سقى للمرأتين تولى إلى الظل وقال:

فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24)

سورة القصص

أنا مفتقر لهذا العمل، فأنا أقول لكم أيها الأخوة: قل لي ما الذي يفرحك أقل لك من أنت، هل تفرح بالدنيا أم بعطاء الله عز وجل؟ بمعرفة الله؟ بطاعة الله؟ بعمل صالح؟ الآيات إذاً: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ* وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

أسعد الناس من صدق بالحق وطبقه:

إذا كُنْ مستمعاً حقاً، صدق بكلام الله، واحمله محملاً جدياً، واعتقد أنه كلام خالق الكون، وأنه يترتب على طاعتك له عطاء كبير، وعلى معصيتك الله - لا سمح الله - شقاء كبير، وأن هذا الكلام خطير، كلام مصيري إن صحَّ التعبير، أحياناً الإنسان يحضر جلسة فيقول لك: والله سررنا، القضية أخطر من ذلك، أخطر من السرور، أخطر من أنك أمضيت ساعة في مسجد، القضية متعلقة بمصيرك الأبدي، متعلقة بسعادتك الأبدية، متعلقة بسلامتك في الدنيا والآخرة، فالقرآن بين أيديكم، إعجازه ظاهر، أمره ظاهر، نهيه ظاهر، وعده، وعيده، حرامه، حلاله، ما علينا إلا التطبيق.

وأقول لكم هذه الكلمة الختامية: مهما كان كلامي واضحاً أنا أحاسب على مدى التطبيق لا على مدى الفصاحة، وأنتم مهما كنتم مستمعين مهذبين، تُصغون، لا تحاسبون على استماعكم بل على تطبيقكم.

أيها الأخوة؛ نحن وإياكم نحاسب بمقياس واحد، لا قيمة لكلامي إن لم أطبق، ولا قيمة لاستماعكم إن لم تطبقوا، والله حسيب كل إنسان، والسعيد من ترجم هذه القناعات إلى سلوك، أنا والله يؤلمني أشد الألم أن أرى أحاً ينتمي إلى مسجد، وتوجد عنده مخالقات كبيرة جداً في بيته، أو في عمله، أقول: يا رب هذا كيف يستمع إلى الدروس؟ كيف يتوازن مع نفسه؟ كيف يعيش في داخله هذا التناقض؟ فالإنسان متى يسعد؟ إذا ألغى التناقض من حياته، أنت مؤمن انتهى الأمر، المؤمن هذا سلوكه، وهذا نمط حياته، وهذا زواجه، وهذا عمله، في عمله صادق،

أمين، أما مؤمن ينتمي إلى الدين ويغشُّ الناس؟! أو يأخذ أكثر مما يستحق؟! أو يعتدي على أموال الناس بطريقةٍ ذكبيّةٍ ويصلي أول صف؟! والله هذه مستحيلة، شيء غير متناسب، فهذه الآيات واضحة جداً، أسعد الناس من صدَّق بالحقِّ إذ جاءه، وطبَّق هذا الحق، فسعد به في الدنيا والآخرة؛ وأشقى الناس من كذَّب بهذا الحق، أما أظلم الناس فمن كذَّب على الله بعلمٍ أو بغير علم، ولا يَقِلُّ عنه ظُلماً من كذَّب بالحق لَمَّا جاءه.

والحمد لله رب العالمين